# تاريخ الحياة العلمية

## في جامع النجف الأشرف

للأستاذ ضياء الدين الدخيلي

— ١ —

هاهي ذي مجلة الأستاذ الزيات تحمل على أجنحتها رسالة الإخاء الاسلامي العربي؛ أما ترى كيف أصبحت رابطة التعارف بين أستاذ في جامع النجف الأشرف وبين أخ له وراء الصحاري والقفار؟ أي وكرامة العروبة والاسلام هو أخ لي تضمني إليه ربقة الجامعة المقدسة وإن لم تسبق لي معرفة بذاته الكريمة. هلم بي يا فتى لتلبية الدعوة وإن أثقلتك المشاغل. هذا أخي الأكرم ينادبني من (طنجة) لأبادله المعرفة وأسهب له في حديثي عن سير المعهد العلمي الذي أنتمي إلى قدسيته ... فهيا إلى (الرسالة) مجلة الأدب العالي

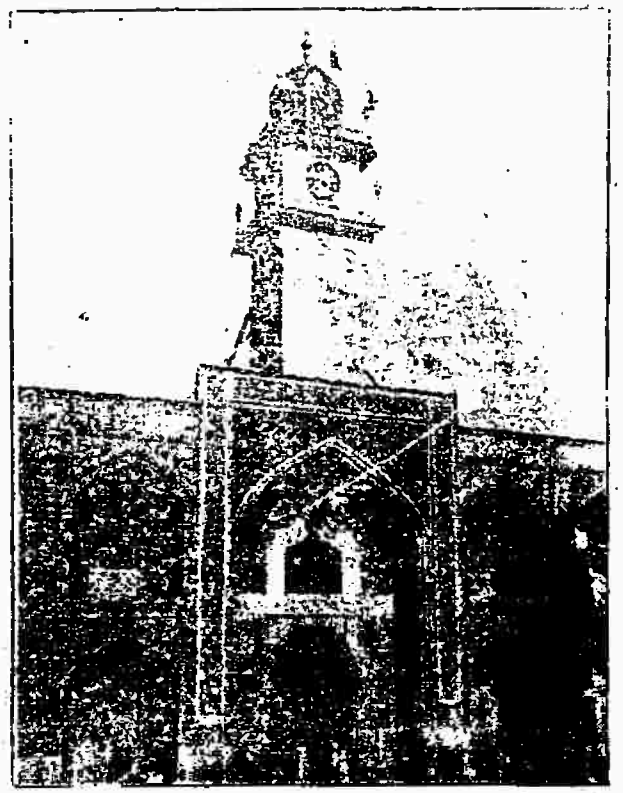

الباب الشرقي من جامع النجف الأشرف

أيها الأخ، إن تاريخ الدراسة في هذا المعهد الجليل يتوغل في أعماق العصور الاسلامية إلى أمد بعيد. وبما أن نواته هي البناية التي أقيمت على مرقد الامام علي بن أبي طالب (ع) فلا بد للراغب في معرفة حياته العلمية والأدبية في أدوارها من طفولتها إلى شيخوختها — أن يلم إلمامة قصيرة بنشأة هذه البنية وتطورها في مراقي العمران. فقد كان حب الشخصية الاسلامية القوية الدفينة هنا، هو الذي جذب العلماء إلى مجاورة المرقد الطاهر ليشيدوا قواعد هذه المدرسة ويكونوا الحلقات لرفع منار الثقافة الاسلامية من الحديث والفقه وأصوله والفلسفة وما تستلزم من مقدمات تمهيدية وأسس أصبحت بعد حين مباني مستقلة بنفسها كفنون الأدب والرياضيات من هندسة وحساب وهيئة. لقد استمر التدريس في بناية القبر العلوي حتى الآن، فقد درست فيها النحو والمنطق والمعاني والبيان وعلم الفقه وأصوله والفلسفة الاسلامية على أساتذة عرب وفرس في حلقات كبرى وصغرى

---

هذا شأنه مع الكتب — وهو ملول قلق — فما شأنه مع الأصدقاء الأحياء؟

وتجلى الباب لي عن زائر ... من أودائي كأنا أخوان
فتملت ولبي شارد ... كيف يكسى الود ثوب الشنآن
قال لي: (الأفق جميل) قلت لا ... بل دميم. قال: زاه. قلت: قان
قال: زيد قلت: حاشا، فانثنى ... نحو عمرو. قلت: كلا بل فلان!
فمضى يعجب مني سائلا: ... أسلام! قلت: بل حرب عوان
ذهب اليوم وما أحلكه ... كان من يوم تماه النيران
لم يكن في صبحه أو ليله ... حظ عين، أو لسان، أو جنان
فاك يوم يا حبيبي واحد ... وغد منه غنى عن بيان

نعم يا سيدي «غنى» عن بيان، فقد عشنا معك في هذه القصيدة يوماً مخنوق الأنفاس، مكروب الصدر، ورأينا فيه وحشتك وقلقك وتبرمك، بل أحسسنا نحن بالوحشة والقلق والتبرم، وتمثل لنا يومك لحظة لحظة وساعة ساعة، كالح الوجه كئيب الطلعة، ثقيل الخطوات!

«للقال بقية»

سيد قطب

ولقد نظمنا فيها الجماعات للتذاكر وحل عوائص تلك الأفانين من الثقافة وقضيت فيها ردحاً من الزمن قياماً . أما كيف قامت أركان هذه المدرسة العالية فذلك حديث جذاب ممتع

الايوان الذهبي والمأذنتان والقبة الذهبية على مرقد الامام علي (ع)

هناك أسطورة تقص في (إرشاد الديلمي وعمدة الطالب) تقول إن القبر كان مخفياً عن عبث أعداء الدعوة العلوية إلى أن أظهره الرشيد وبنى عليه قبة ذات أربعة أبواب من طين أحمر وعلى رأسها جرة خضراء وتحتها الضريح من حجارة بيضاء . وحكى في فرحة الغرى في قصة طويلة أنه قبل الرشيد وضع داود بن علي المتوفى سنة ١٣٣ هـ صندوقاً دُرس باسمه خوف سطوة العباسيين الذين تبدلت سياستهم تجاه العلويين حتى بطشوا بهم واضطهدوا شيعتهم وقعدوا لهم كل مرصد . وسبب آخر في اندراسه هو عامل طبيعي غير هذا الأدبي، فقد ساعد على ضياعه وقوعه في منخفض الوادي معرضاً لجرى السيول ومهب الرياح

قال في نزهة القلوب : وعقيب بناء الرشيد بمدة سنة ١٨٠ هـ جاوره الناس . ويمكنك أن تعتبر هذه المجاورة بذرة الحياة العلمية الأدبية الحاضرة، فمن مستلزمات مجاورة هذا المعبد الاسلامي الذي كان ولا يزال منتجع الزوار من قاصي الأرض ودانيها — تدبر الشريعة الاسلامية وتداول أحكامها. وقد وجدت إجازات برواية أحاديث قال راووها إنهم تلقوها في رواق قبر الامام (ع) وكان عهد هذا التلقي للعلم الاسلامي سحيقاً في القدم . وقرأت في (فرحة الغرى) أنه في أيام المعتضد العباسي بنى محمد بن زيد العلوي الداعي الصغير (صاحب طبرستان الذي ملكها عام ٢٧٠ بعد أخيه الحسن ثم قتل عام ٢٨٧ كما في كامل ابن الأثير وقد تنسب العمارة لأخيه الحسن) — قبة وحائطاً وحصناً فيه سبعون طاقا . وقد لوح ابن أبي الحديد إلى هذه العمارة إذ قال ( زار القبر جعفر الصادق وأبوه محمد ولم يكن إذ ذاك قبراً معروفاً ظاهراً وإنما كان به سرح عضاه حتى جاء محمد بن زيد الداعي صاحب الديلم فأظهر القبة )[1] وقال ابن الأثير (وفي سنة ٢٨٢ هـ وجه محمد بن زيد العلوي سراً من طبرستان إلى محمد بن ورد العطار باثنين وثلاثين الف دينار ليفرقها على أهل بيته ببغداد والكوفة والمدينة فسعى به إلى المعتضد فأمره أن يكتب إلى صاحبه بطبرستان أن يوجه ما يريد ظاهراً وأن يفرق ما يأتيه ظاهراً وتقدم بمعونته على ذلك[2]) وهذا يؤيد ما رواه ابن أبي الحديد . وقد طرأ على ما بناه الداعي بناء الرئيس الجليل عمر بن يحيى القائم بالكوفة فقد عمر قبر جده (ع) من خالص ماله ثم قتل عام ٢٥٠ هـ[3] وحمل رأسه في قوصرة إلى المستعين العباسي[4]

وبعد هذا تقوم بناية ضخمة يشيدها رجل السطوة والعمران عضد الدولة البويهي ، فحين تولى السلطة في العراق شاد عمارة القبر الثالثة ( أقام بمسكره في ذلك الطرف قريباً من السنة وبعث فأتى بالصناع والأساتذة من الأطراف وخرب تلك العمارة وصرف أموالا كثيرة جزيلة وعمر القبر عمارة جليلة حسنة )[5] وقرأت في عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب . . . إلى أن

(١) شرحه لنهج البلاغة ص ٤٥ ج ٢

(٢) تاريخ ابن الأثير ج ٧ ص ١٥٦

(٣) ج ٣ من مستدرك الوسائل للمحدث النوري

(٤) ترى من التاريخ أنه توفي قبل ملك الداعي فلابد أن الذين أخذنا منهم خبر إصلاحه عمارة الداعي قد غفلوا عن هذه الناحية

(٥) عن رياض السياحة ونزهة القلوب وإرشاد القلوب للديلمي وعمدة الطالب وفرحة الغرى على اختلاف جزئي في التاريخ

كان زمن عضد الدولة فناخسرو ابن بويه الديلمي فعمره عمارة عظيمة وأخرج على ذلك أموالاً جزيلة وعين له أوقافا ، ولم تزل عمارته باقية إلى سنة ٧٥٣ وكان قد ستر الحيطان بخشب الساج المنقوش فاحترقت تلك العمارة وجددت عمارة المشهد على ما هي عليه الآن ( توفى المؤلف سنة ٨٢٨ ) وقد بقى من عمارة عضد الدولة قليل )

قبر الامام علي (ع)

وقال آخر إن عمارة عضد الدولة من أجل العمارات ومن أحسن ما وصلت إليه يد الانسان فى ذلك الوقت يدل عليها الأموال الطائلة وجلب إليها الرازة والنجارين والعملة من سائر الأقطار . قالوا [1] إن هذه العمارة وإن كان لعضد الدولة يرجع تأسيسها فقد عرضت عليها إصلاحات جمة وتحسينات قيمة من البويهيين ووزرائهم والحمدانيين ومن المستنصر العباسى الذي عمر الضريح المقدس وبالغ فيه وزاره مراراً ( كما فى فرحة الغري ) وكذلك لقد عمر من قبل : بنى جنكزخان وغيرهم حتى وصلت العمارة إلى ما شاهده ابن بطوطة الرحالة الذى وردها بعد أن قضى حجه عام ٧٢٥ هـ وقال فى رحلته : ( نزلنا مدينة مشهد علي بن أبي طالب ( رضه ) بالنجف وهى مدينة حسنة نظيفة فى أرض فسيحة صلبة من أحسن مدن العراق وأكثرها ناساً وأتقنها بناء ... دخلنا باب الحضرة حيث القبر الذى يزعمون أنه قبر علي ( ع ) وبازائه المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة وحيطانها بالقاشانى وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ونقشه أحسن . ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة؛ ومن تلك المدرسة يدخل إلى باب القبة عليه الحجاب والنقباء والطواشية يأمرون الزائر بتقبيل العتبة وهى من الفضة وكذلك العضادتان ، ثم يدخل القبة وهى مفروشة بأنواع البسط من الحرير وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار ، وفى وسط القبة مسطبة مربعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل مسمرة بمسامير الفضة قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء ، وارتفاعها دون القامة وفوقها ثلاثة قبور يزعمون أن أحدها قبر آدم ( ع ) والثاني قبر نوح ( ع ) والثالث قبر علي ( رض ) ، وبين القبور طسوت ذهب وفضة فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب يغمس الزائر يده فى ذلك ويدهن به وجهه تبركا. والقبة باب آخر عتبته أيضاً من الفضة وعليه ستور من الحرير الملون يفضى إلى مسجد مفروش بالبسط الحسان مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير وله أربعة أبواب عتباتها فضة وعليها ستور الحرير . وخزانة الروشة عظيمة فيها من الأموال ما لا يضبط لكثرته[1] )

(العراق ـ النجف الأشرف) «يتبع» ضياء الدين الدرويش

(١) كتاب الفاضل الشيخ جعفر محبوبه

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٠٩


ولبراعه :

أغاني الربيع

للشاعر الملهم العوضي الوكيل

قصائد ومقطوعات من النسق العالي ، يحفل بحشد مما يجيش فى النفس الرفيعة من أحاسيس ، يطربك بعمق تأمله وصدق إحساسه وسلامة تعبيره

الاشتراك فيه قبل الطبع ٦ قروش صاغ

ترسل إلى المؤلف بعنوانه

مدرسة محمد علي الصناعية . الشاطبي . الاسكندرية